Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية المجلد8،العدد2 2021

التمظهرات الثقافية للشخصيات السردية في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السائح.

Cultural manifestations of the narrative characters in the novel "I and Haim" by Habib the Tourist

متلف آسيـــــــــة[1].

جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–الجزائر

Metlef.assia@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/11/18	تاريخ القبول:2021/12/18	تاريخ النشر:2021/12/28

الملخص

تهدف هذه المقاربة النقدية إلى استثمار مبادئ الدراسة الثقافية وأهدافها في تأويل النصوص الروائية و محاولة تعرية وكشف أهم تمظهرات الشخصيات الثقافية في رواية "أنا وحاييم" لحبيب السائح "، هذا النص الذي يتمتع بحضور جمالي وفني متميّز يضمر في أجوافه أنساقا ثقافية وفكرية تضافرت وتجادلت وتصارعت لتعبّر عن نمط فكري داخل المجتمع الجزائري ما جعل الرواية نصا محتالا ومراوغا يأبى الخطاب الجمالي التصريح عنه لزئبقية لغته وألاعيبها الجمالية وما تمارسه من تعمية دلالية يصعب الإمساك بدلالاتها الثقافية الغائرة في عمق الرواية.

الكلمات المفتاحية : التمظهرات الثقافية–الشخصية السردية – رواية أنا وحييم

Abstract:

This critical approach aims to invest in the principles and objectives of cultural study in the interpretation of narrative texts and an attempt to expose and reveal the most important cultural patterns implicit in the novel "Me and Haim by Habib al-Sayeh." An intellectual pattern within Algerian society, which made the novel a fraudulent and elusive text that the aesthetic discourse refuses to declare due to the mercury of its language and its aesthetic tricks and the semantic blinding it practices, which is difficult to get with its cultural deep connotations in the novel.

key words :

Cultural-Personal Manifestations Narrative - A Novel of Anna and Haim

مقدمة :

بعد الاهتمام الواسع بأدبية الأدب والبحث عن ما يحقق جماليته وترويض التأويل للتنقيب عنها ،ظهرت مشروعات نقدية جديدة تستخدم أدوات النقد في مجالات أعمق وبوعي أكبر للبحث عن ما وراء الأدبية والجمالية ونقصد بذلك "النقد الثقافي" الذي لم يتردد في إثارة جدل كبير في الساحة النقدية العربية إذ حمل تغييرا جذريا في مجال الدراسة النقدية التي باتت قاصرة في نظر رواده على قراءة النصوص قراءة واعية لذا فالعمل في إطار النقد الثقافي قائم على آلية منهجية تأطرت بأفكار ما بعد الحداثة وأخذت حيزها وتشكلت المباني النقدية منها ، فقد حاول النقد الثقافي تجاوز" التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة تثقيفية أوسع له نظامه الافصاحي الخاص "، فالنص ضمن هذا التوجه لا يقرأ لذاته وإنّما يكشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها والسعي إلى الإلمام بشروط ميلاد النصوص وتبيان جدواها في فهم الظاهرة الإبداعية لأنّ النص يولد من رحم الثقافة ،ولا يأتي هذا المولود إلا بعد مخاض عسير.

وسعيا منّا إلى استجلاء أهم تمثّلات الشخصيات الثقافية في رواية "أنا وحييم " لحبيب السائح ؛ هذا العمل الروائي الذّي أثار منذ ظهوره جدلا نقديا كبيرا تباينت فيه الرؤى واختلفت معطيات التأويل بين المرجعي والثقافي ،إلاّ أنّنا نتفق بأنّها مغامرة روائية قلقة مستفزة تحمل بفعل التجريب حدود الكتابة التقليدية وتخومها ،فالمتأمل في حيثيات الرواية يتلمّس روح المجازفة وخوض غمار علاقات تضادية جدلية سعى الروائي إلى تقويضها والانتصار إلى المهمّش منها ولتحقيق هذا المسعى استعنا بإجراءات النقد الثقافي الذي فسح أمامنا فعل القول والتأويل في إطار كشف العيوب النسقية التي توجد في الثقافة والسلوك بعيدا عن الخصائص الجمالية والفنية.

1-مطارحات نقدية في اطار النقد الثقافي:

لعل حديثنا عن النقد الثقافي يتلخص في ذلك الوصف الذي قدّمه "نادر كاظم" في مقدمته لكتاب "الهوية والسرد حين قال :"أنه نقد مشاكس لمفاهيم "براءة الأشياء" وبداهة الحس المشترك، بل هو محاولة للكشف عن الأصل غير البريء في النصوص والخطابات والممارسات و الأشياء وإدراك أنّ ما هو مألوف وطبيعي ليس أكثر من"تشييد تاريخي وثقافي" و"تطبيع" تقوده الأجهزة المادية و الإيديولوجية في

المجتمع"[2]، وهذا ما يدلّ وبوضوح عن نقلة وتحول مسّ نقد ما بعد الحداثة والتي بدأت معالمه تتضح في ظل غواية نقدية مغرية تفتح الأفق أمام الأنساق المضمرة للبوح عن ثقافتها وتوجهاتها الاجتماعية والثقافية والحياتية بشكل عام

يعد "ليفي شتراوس" من أوائل الذين نقلوا مصطلح "النسق" إلى الحقل الثقافي في دراسته الأنثروبولوجية البنيوية 1975" بعدما كان انتظاما بنيويا "يتناغم وينسجم فيما بينه ليولد نسقا أعم وأشمل وعلى سبيل المثال بوصف المجتمع بأنّه نسق اجتماعي عام ينتج عنه مجموعة أنساق فرعية انتظمت معه وشكّلته فتولد عنه نسق سياسي وآخر اقتصادي وعلمي وثقافي ، تنسج علاقاتهما فيما بينها في مسافات متفاعلة ومتداخلة "[3]، فيصبح النسق البنيوي مظهرا من مظاهر النسق العام ، فقد يكون هذا النسق مغلقا كما تطرحه البنيوية الصورية وقد يكون مفتوحا كما هو الشأن بالنسبة إلى المناهج النقدية الأخرى مثل السيميائيات والتأويليات المعاصرة وتبعا للتصورات التي تقدمها القراءة للنسق تتحدد طبيعته"[4]، ما يجعل هذه الأنساق مجالا خصبا للتأويل والقراءة ،فيغدو الترابط واضحا بين الخاص والعام أي بين النص بوصفه نسقا لا ينفصل عن نسقه العام فنسق الحكاية مثلا كما يشير الدكتور أحمد يوسف مرتبط بالنسق السردي العام وهذا ما حاولت أن تطوره النظرية السردية [5].

ففي ظل هذا التداخل للأنساق يتشكل نظام من العلاقات بمرجعية خاصة ما يؤكد بأنّ النسق الثقافي ليس مجرد تصور ذهني بل هو فعل يتجسد في السلوك الاجتماعي لدى مجموعة من الأفراد ويتحرك في إطار الثقافة التي أنتجته وهذا ما يشير إليه "تالكوت بارنسونز" في مفهومه للثقافة على أنّها " شيء مجرد ولكن تكتسب طابعا علميا عندما تتجسد في سمات ما وأنماط تعين النموذج المميز لحياة الجماعة"[6]، إذ يتضح من هذا القول أن النسق الثقافي يمتلك سلطة فعلية تتحدد في السلوك والمواقف العملية والواقعية.

تمثّل الأنساق المضمرة الابن البارّ الذي يرتكز عليه النقد الثقافي ويمارس نشاطه من خلال محاولة الكشف عنها وتعريتها ، فهي البؤرة المركزية التي تتكئ عليها الدراسة في هذا الحقل النقدي الجديد حيث"يأتي مفهوم النسق المضمر في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة ، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية "[7]، ما يدل على أن الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية ، "وليست الجمالية إلاّ أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء ، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر يعمل عمل الجمالي عمل التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت قناع "[8]

فالنص الجمالي والبلاغي أو ما يسمى بالأدب يعد الميدان المحبّب للنسق فهو" الملاذ الآمن بالنسبة إليه أو هو المحراب الذي يتعبّد فيه ويمارس فيه طقوسه المفضلة[9] فيختبئ وراء قناع الجمالي ليمارس لعبة الاحتيال التي يتقنها وليمرر أنساقه الخطيرة الأشد فتكا بالمجتمع والأكثر تأثيرا عبر الزمن في العقول والسلوك والمواقف ،و لأن الخطاب الأدبي نص ثقافي أو تورية ثقافية له وجهان[10]:

- وجه ظاهر:وهو المتن الجمالي بما ينطوي عليه من بلاغيات وجماليات ودلالات متعددة ومجازات واحتمالات التأويل الكثيرة.
- وجه باطن أو بعيد: وهو المتن المضمر أو النسق المضمر الذي يتمتع بسلطة التحكم في المبدع و المتلقي .

ويشير الغذامي أيضا الى أن تأويل النسق المضمر متنوع ومختلف لأنّ هناك " مضمر نسقي يلعب لعبته الرمزية حيث هو جبروت رمزي متحكم ، و به تتشكل الدلالة النسقية "[11]، إذ يعمد الناقد الثقافي على نبش ما هو تحت البنية اللسانية في محاولة التنقيب وتعرية الأنساق التي يتجلى أثرها الفاعل في الأفراد والجماعات و السلوكيات ، ما يؤكد فكرة أن الخطاب الأدبي خطاب ثقافي مؤسس لا جمالي محض ،فما هو مسكوت عنه داخل النص أبلغ بكثير مما صرح به ،لان أنساقه المضمرة تساعد على بلورة الفكر والسلوك والمواقف .

ولأنّ الأنساق المضمرة " تمتلك صفة التخفي والإضمار بعدها أقنعة تختفي تحت أنساق تتوسل بها لعمل عملها الترويضي "[12]، فهي لا تبتعد أيضا على أن تكون "مجموعة من الترسّبات تتكون عبر البيئة الثقافية و الحضارية وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص المختلفة ،تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية وينجذب نحوها المتلقون دونما شعور منهم ،لأنّها أصبحت تشكّل جزءا هاما من بنيتهم الذهنية و الثقافية"[13]، ما يجعل "كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة"[14].

والملفت للانتباه في هذه الأقوال اشتراكها في رموز لغوية (كالعباءة ، و الغطاء ، والأقنعة ،والترسبات)التي ترسخ في دلالتها ومعانيها فكرة التخفي و الإختباء ما يؤكد صعوبة مهمة الكشف عن ما تخبؤه هذه الأنساق ما يقتضي بحثا حثيثا في ما هو ثاوي داخل أجواف النص.

ولتحديد ماهية النسق المضمر بعده مصطلحا مركزيا في هذه الدراسة نذهب الى القول بأنّ أي خطاب يحمل نسقين:"أحدهما واع والآخر مضمر ، وهذا يشمل كل أنواع الخطابات الأدبي منها وغير الأدبي ، غير أنه في الأدبي أخطر لأنه يتقنع بالجمالي والبلاغي لتمرير نفسه وتمكين فعله في التكوين الثقافي للذّات الثقافية للأمة"[15].في الحين ذاته يحدد عبد الله الغذامي شروط النسق المضمر وهي كالآتي[16]:

_ يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلّا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد أو فيما هو في حكم النص الواحد ويشترط في النص أن يكون جماليا وأن يكون جماهيريا...وإنّما الجمالي ما اعتبره الرعية الثقافية جميلا "

لا بد أن يكون النص ذا قبول جماهيري ،ويحظى بمقروئية عريضة ،وذلك لنرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذّهن الاجتماعي والثقافي والنخبوي لنستطيع الكشف عن درجة تغلغل النسق في خلايا الفعل الثقافي.

_ يؤكد الغذامي على قراءة الأنساق قراءة خاصة باعتبارها حالة ثقافية والنص هنا ليس فحسب نصا أدبيا وجماليا ولكنّه أيضا حالة ثقافية.

_ النسق هو تورية ثقافية تشكل المضمر الجمعي .

_لا بد أن يكون النص موضوع الفحص نصا جماليا لأنّ الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق.

و ركحا على ما سبق نفنّد قول يوسف عليمات بأنّ النص "بنية ثقافية جمالية"،أي أنّه يتخذ لنفسه معطى ثقافيا وشكلا جماليا فهو "تكوين ومشروع ثقافي وفكري وارتباط حضاري"[17]، ما يؤكد ازدواجية تركيب النص التي تظهر في بنيتين:

- بنية لسانية جمالية تستميل القارئ وتغويه بما تحمله من آفاق تأويلية .
- بنية فكرية ثقافية مستفزة تدغدغ وعي القارئ فتفتح أبواب التأويل على المتعدد والمختلف إيديولوجيا وثقافيا وفكريا.

أولا: تمظهرات الذّات وتقويض صورة الآخر في رواية أنا وحييم :

في محاولتنا لمساءلة الرواية تجلّت أمامنا مجموعة من العلاقات التي شتّتت وأربكة أفق القراءة لدينا مما جعلنا نولي اهتماما أكبر بذلك النسق المضمر في أجواف العمل قناعة منّا أنّ موضوع المهمش اليهودي الذي تطرق إليه مجموعة من الروائيي الجزائريين من قبل أمثال"أمين الزاوي في روايته "آخر يهود تمنطيط" وياسمينة خضرا في رواية "بم تحلم الذّئاب" و"واسيني الأعرج " في سونتا أشباح القدس ؛أختلفت ملامحه وتفاصيله في رواية أنا وحييم للحبيب السائح إذ نسعى من هذا المنطلق إلى البحث في عصب العلاقات المقوّضة التي فككت المركز لتبرز الهامش بصورة مخالفة لما هو مألوف في المخيال الثقافي الجمعي ،فتمثّلت تلك العلاقة الجامعة بين ثنائية الأنا والآخر في ظلّ مفارقة جامعة .

تعدّ ثنائية الأنا/ الآخر من أهم القضايا النقدية في النقد الروائي المعاصر والتي أسالت حبر ثلّة من النقاد والدّارسين ،وذلك لتشعب حدود العلاقة وخصوصية الاختلاف وتباين الطروحات والتوجهات الفكرية حولها،لذا فلعلنا نقف على حافة اللانهاية في محاولة النجاة بهذه الثنائية التي تتضام تارة لتشكّل التكامل والتواشج وتتضاد تارة أخرى لتشكّل قوى متصارعة يسعى كل طرف منها للبحث عن خصوصية التّشكل في جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والفكرية، فطبيعة الموضوع الذي نحن بصدد الغوص في أعماقه يحتم تحديد حيثيات هذه الثنائية ومعالمها ونقصد بهذا الذّات الجزائرية المسلمة والآخر اليهودي .

فحدود العلاقة بين الأنا ولآخر تتحدد من خلال تلك الثنائية القائمة على التوافق والاختلاف بين ذاتين أو فردين مختلفين على المستوى الفكري أو الجنسي أو العرقي شرط توفر عامل الوعي والإدراك إذ أنّ إدراك الآخر جزء من إدراك الذّات،إدراكه كما هو ليس كما نريد وأنّ تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة للتعامل معه"[18]، فإذا تمّ تقبل الآخر كما هو يسهل عملية تفاهم وتلاقح الأفكار "فالفارق سواء أكان فرقا بين جنسين أو فرقا في السلوك أو الشخصية أو فرقا عرقيا أو ثقافيا يمكن أن يصبح وسطا تنشأ فيه روح عدائية، ولكنّه يمكن أن يكون أيضا بيئة لخلق تفاهم وتعاطف متبادلين"[19]، مما يجعلنا نعي أنّ قيمة الذّات لا تظهر إلاّ من خلال الآخر وقيمة الآخر لا تظهر إلاّ من خلال الذّات فإن" تباعدا تنابذا يتفاعلان فيما بينهما سلبا وإيجابا بالنظر الى علائق القوى التي تمنح الغلبة لطرف على حساب الطرف آخر وغالبا ما ينظر بالاحتكام الى التّجارب التّاريخية الى الآخر بصفته عدوا ويشكّل على الدّوام تهديدا للهويّة الذّاتية وتظل العداوة محتملة حتى في حال السلم بين الطرفين"[20]، ويضيف محمد عابد الجابري في السياق ذاته "إنّ نقد الآخر شرط لوعي الذّات بنفسها ولكن وعي الذّات نفسه شرط لاكتساب القدرة على التعامل النقدي الواعي مع الآخر"[21]

إنطلاقا من أحداث الرواية وموضوعها نجد بأنّ الحبيب السائح قوّض ما هو معروف ومتفق عليه في المخيال الجمعي العربي بشكل عام والجزائري بشكل خاص ليخدم فكرة التعايش ويقدّم حقائق عنه في حقبة زمنية معينة من تاريخ الجزائر وليقلص مسافة الاختلاف بين الديانة اليهودية والإسلام ، فقد حاول الروائي تقديم شخصية حييم بصورة إيجابية مبهرة أو كما قالت فريدة ابراهيم "هي سردية موغلة في المثالية والطهارة الخالصة لشخصية اليهودي وجعلها شخصية خارجة عن المألوف "[22]ومردّ هذا كما أشارت ما هو إلاّ خدمة لفكرة الكاتب التي سخّر لها كل إمكانات السرد ،في حين ارتبط اسم"حاييم"في المخيال الجمعي الجزائري بكيان المحتل المغتصب للأرض والمرتكب لأبشع الجرائم في وجه شعب أعزل مما تسبّب وبشكل مباشر في رفض اليهودي على جميع الأصعدة من هذا المنطلق تتجسّد لنا فكرة التقويض لخدمة الفعل التّشاركي وتمثيله والذّي عبّر عنه المؤلف بالتعايش فتقوم الرواية بالدرجة الأولى على

"تقويض سردية تاريخية يُعلن منذ البداية أنّها تتناقض مع فكرة التعايش وهي"اليهودي عدو"فتكون عودة اليهودي المهمّش وبالصيغة التي ورد بها عرضه في غلاف الرواية إعلانا عن تواري السردية التاريخية الكبرى التي تشكّلت في المخيال الجمعي للجزائريين الذّين لا يذكرون لفظة يهودي إلاّ مستعوذين بالله منه"[23]"

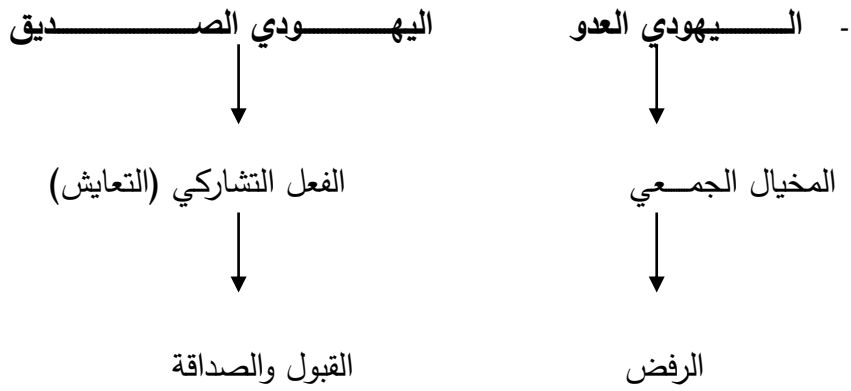

هذه التسريبات النسقية المضمرة تشي بتواطؤ فكرة الروائي مع الحكاية الأساس فتنتقل من نسق العداء إلى نسق التعايش وتجاوز تلك "التّمثيلات العنصرية التي تعرّض لها يهود العالم بتفكيك قيم المؤسسة التي كرّستها اجتماعية كانت أم سياسية وكانت تسعى وراء ذلك إلى بناء شرعية زائفة تدعوا أحيانا إلى تطهير الهوية الجزائرية من فئة تواطأت مع المستعمر لتعميق مآسي الجزائريين وأحيانا أخرى تتبنى شعار المشروع العربي القومي بتحرير فلسطين من اليهود فلم يتردد حييم في الدّفاع عن هويته وأرضه فرفض التجنيس الذّي مسّ اليهود في الجزائر وظلّ مخلصا لوطنه رافضا لكل صور العنصرية التي فرضتها فرنسا ضد الأهالي ما تسبّب في حرق صيدليته من طرف المستعمر.

إلاّ أنّه وبعد الاستقلال نجد حاييم يدافع عن هويته أمام الأهالي الذّين تشارك معهم الوطن الذّي دافع عنه ضد الاستعمار الفرنسي إذ تجلت لنا ملامح إعادة تشكيل هوية جديدة أمام هؤلاء والبحث المضين عن الوطن وتحقيق الهوية في ظلّه رغم محاولة الروائي إسقاط هذه الفكرة و"ترميم صورة اليهودي في المخيال الجمعي الجزائري خاصة ذلك اليهودي الذّي آمن بقيم ثورة التحرير ورفض الهجرة الى أرض الميعاد رغم الإغراءات المقدّمة له فعاش مقهورا في أرضه وأهله.

لم يتردد حبيب السائح في تهشيم أفق التلقي عند القارئ العربي بوجه عام والجزائري بوجه خاص فالتصادم الأول الذّي حدث بين القارئ والنّص لأول وهلة لحظة قراءة العنوان والتّمعن في غلاف الرواية الخارجي الذّي حقّق بشكل متميز وظيفته الإغرائية التي ما انفكت أن دغدغة حس القارئ والتأويل عند متلقيه حيث فرض العنوان بسلطته من البداية فعكس هاجس الأنا في حضور الآخر،فمعطيات هذا

الغلاف من عنوان ونوع الخط والصورة المثبتة عليه تفرض على المتلقي التفكير في الحقيقة الثقافية التي تتوارى خلفه .

من بين أهم العناصر المشكلة للرواية لوحة الغلاف التي تُعدُّ العتبة الأولى التي تقع عليها عين المتلقي، فالغلاف الذي يضم محتوى الكتاب بين دفتيه ويعرف به بصريا يمثل عنصرا مهما لا بد من مقاربته وإخضاعه للقراءة والبحث والتأويل، إضافة إلى أنّه يساعد العنوان على أداء وظائفه المتعددة، «فالغلاف ومكوناته يعد المدخل الأول لعملية القراءة، باعتبار أن اللقاء البصري والذهني الأول مع الكتاب يتم عبر هذه المكونات وما تحمله من دلالة مؤطرة للنص سواء في سياق النوع الأدبي أم في سياق المؤسسة الأدبية».[24]

فالغلاف الخارجي يحمل أيقونات بصرية، وعلامات تصويرية وتشكيلية، تحمل رؤية لغوية ودلالية بصرية، ومن ثم «يتقاطع اللغوي المجازي مع البصري التشكيلي في تدبيج الغلاف وتشكيله وتبئيره وتشفيره»[25]، إذ يمنح غلاف الرواية «هوية بصرية ينبغي أن نقبلها كإحدى هويات النص، فالغلاف هو أول ما يحقق التواصل مع القارئ قبل النص نفسه(...) فهو الناطق بلسانه يقدم قراءة للنص وبالتالي يضم سمات النص وعلاماته وهويته»[26] ،ومن المعروف «أن الغلاف الأدبي والفني يشكل فضاء نصيا ودلاليا لا يمكن الاستغناء عنه لمدى أهميته في مقاربة الرواية مبنى وفحوى ومنظور».[27]

تعدُّ صفحة الغلاف العتبة البصرية الأولى التي يتعلق بها المتلقي، فيقبل على الكتاب أو ينصرف عنه، والملاحظ في رواية"أنا وحاييم" لأول وهلة أنّها رواية تخضع للكثير من الغموض أو بشكل أكثر وضوحا تحمل ألغازا بين دفتيها،فالمتأمل في الغلاف الخارجي لرواية"أنا وحاييم" يجده يتكون من وحدتين وحدة أمامية تنشأ عن تضافر مجموعة من العناصر التي تشكّل هوية الكتاب وتحمل القدر الأكبر من وظائف الغلاف، ووحدة خلفية لها دورها الذّي لا يقل عن دور الوحدة الأمامية "وهما يتكونان من عناصر جرافيكية والعنوان يجاوره الصورة بألوانها والمؤشر التجنيسي ووضعية اسم الكاتب وأيقونة دار النشر وكلمة الناشر التي تشغل جزءا من الوحدة الخلفية للغلاف "[28] فصفحة الغلاف ضمت عدة علامات وأيقونات لغوية ترتبط مع المحتوى الداخلي للنص بعلاقة مناصصة يتصدرها:

أولا: اسم المؤلّف. — أعلى الصفحة
ثانيا: عنوان الرواية
ثالثا:اللوحة الفنية. — وسط الصفحة
رابعا: دار النشر. — أسفل الصفحة

سنحاول دراسة هذه الوحدات وتأويلها لتقريب دلالاتها وعلاقاتها بالنص الأصلي الداخلي ولكن قبل هذا فإنّ أوّل ما يسترعي اهتمام المتلقي ويلفت انتباهه ويثير مدركاته البصرية التي يعي من خلالها طبيعة الأشياء تلك الصورة المثبّتة على الغلاف والتي تجمع بين طفلين تظهر على أحدهما رمز اليهودية كما تشير أمنة بلعلى أما الطفل الثاني مجرد من كل رمز إلاّ أنّهما في حالة انسجام تام أمام عتبة باب عتيق ما يكشف صداقة بينهما .

وما يلفت انتباهنا كقراء طغيان اللون الأحمر على فضاء الغلاف حيث احتلّ المساحة الأكبر منه "فللون وظيفة تكنولوجية عندما حلّ محلّ اللغة ومحلّ الكتابة ولهذا وجب ربط اللون بنفسية المتحدث ونفسية المتلقي ثم بالوسط الاجتماعي والبيئة المحيطة بالفنان فتساهم دلالات اللون في نقل الدلالات الخفيّة والأبعاد المستترة في نفس البشرية"[29]، ما يؤكد تطابق معاني هذا اللون وما يحمله النص الروائي من دلالات . فاستعمال الألوان مثلا «يندرج ضمن التعامل الجمالي مع مظاهر الحياة وخواطرها ومن غير الممكن أن يكتب نصا أدبيا ولا يتحدث عن الألوان ولا يصطنعها ولا يسخر في عملية البث والتبليغ من حيث هي أدوات لتجميل نسجه»[30]،وبناء على هذا عدُّ اللون «موضوعا معقدا وهو جزء من خبرتنا الإدراكية الطبيعية للعائد المرئي واللون ... لا يؤثر في قدرتنا على التمييز في الأشياء فقط، بل ويغير من ميزاجنا وأحاسيسنا ويؤثر في تفصيلاتنا وخبراتنا الجمالية بشكل يكاد يفوق تأثير أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر أو آي حاسة أخرى»[31]، وقد تعددت دلالات اللون الأحمر وتباينت مفهوماته بصورة تجعله لونا متميزا وقد جاء هذا التباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية بعضها يثير البهجة والانشراح وبعضها يثير الألم والانقباض ومن دلالات هذا اللون كما أشار أحمد مختار:[32].

اللّون الأحمر
- لون الدّم استعمل للتعبير عن الشدّة والخطر والمشقة
- لون النّار مادة للشيطان استعمل للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية

فلعلّ أوّل ما ينتاب القارئ أثناء رؤيته لهذا اللون خليط من المشاعر ووابل من الاحتمالات والأسئلة التي تفتح أمامه فرضية الحذر والتّأهب لما يحمله هذا اللون المثير القوي لمشاعر متناقضة تتضارب بين الحب والألم والشهوة يقول كلود عبيد " الأحمر هو لون الروح لون الشهوة، لون القلب،هو لون العلوم والمعرفة الباطنية ..." ويشير في سياق آخر إلى أنّه "الرمز الأساس لمبدأ الحياة بقوته وقدرته ولمعانه وهو لون الدّم والنار يملك دائما نفس التعارض الوجداني لعنصري الدّم والنّار[33].، وفي محاولة إسقاط دلالات هذا اللّون على المتن الروائي يتضح لنا للوهلة الأولى أن هذا النّص يحمل في ثناياه صراعا نفسيا عميقا ينبع بثنائيات متناقضة تحكمها الذّات الإنسانية في أغوارها العميقة بحثا عن الحقيقة المغمورة في كنف النص.؛ هذا الخطاب التبرجي الذي يضم عناصر الإغراء من ألوان وصورة مارس نوعا من السلطة على المتلقي والتأثير فيه.

وفي حديثنا أيضا عن العتبات النصية نتلمس خطابا إهدائيا خاصا يتوجه به إلى شخصية بعينها لا ندري إن كانت حقيقية أم متخيّلة يقول :"

إلى وليام سيورتيسwilliam sportisse

مواطني الذّي عرفته في
جنان الزيتون Le camp des oliviers

ولأنّ فعل الإهداء يمثل فسحة للكاتب ليتوّج كتابه مادام هذا الفعل يأتي بعد الانتهاء من فعل الكتابة «إذ يسمح الكاتب لنفسه، وسيتسمح قراءه في الآن نفسه، اقتطاع مساحة حرة (صفحة بيضاء أو أقل من نصفها أو ما دون ذلك) يدون فيها بليغ أفكاره وعميق تأملاته ، وقد يستحضر الكاتب قارئا مهدى إليه، يفترضه بصيغة التعميم تارة، أو التعيين والتخصيص تارة أخرى، يحتفي به على طريقته الخاصة»[34]، وهذا فعل مشروع يجسد حميمية الكاتب وعاطفته، اتجاه أشخاص معنويين أو ماديين وخياليين أو واقعيين، فهو مجال لقراءة عالم الكاتب النفسي الداخلي الذي لا يمكن لأحد الوصول إليه إلا هو نفسه.

إنّ قراءتنا لهذا الخطاب الإهدائي فتح أمامنا موجة من الأسئلة أيضا لا تختلف عن تلك التي تم طرحها في قراءة عتبة العنوان والغلاف الخارجي للرواية، إذ أدركنا بحسنا النقدي أنّ هناك نسق مضمر في هذا الخطاب الإهدائي الذّي خص به السائح هذه الشخصية ،وبعد البحث والتقصي تكشّف أمامنا حبل الترابط بين شخصية حاييم في الرواية وبين شخصية المهدى إليه إذ تشير سلمى قويدر في مقال لها نشرته في صحيفة إلكتروني أنّ :"وليام سبورتيس هو جزائري يهودي مناهض للاستعمار والصهيونية

والاستبداد، عرف بدفاعه عن الوطن والتّمسك بأرضه وبعد الاستقلال تمّ اعتقاله وتعذيبه هو وزوجته ورفقائه بسبب معارضتهم للانقلاب العسكري الذي حدث في الجزائر سنة 1965 ففرضت عليه الإقامة الجبرية في تيارت أزيد من عشر سنوات الى حين اضطر لمغادرة الجزائر في 1994 بسبب تهديد الجماعات المتطرفة له خلال العشرية السوداء، ولا يزال في فرنسا بعيدا عن الوطن الذّي ناضل من أجله .، ويشير المؤرخ أحمد ملياني الذي حاورته سلمى قويدر أكد أنّه قام بكل الإجراءات اللازمة للاستفادة من جنسيته الجزائرية ولكنّه لم ينل ذلك "[35]

فكل من حاييم وسبورتيس رغم وطنيتهم وحبهم الكبير للجزائر والدفاع عنها إلاّ أنّهم فقدوا حلمهم في الانتماء وإثبات ذواتهم رغم كل المواقف التي تميزوا بها وهذا .

1- شخصية حييم والبحث عن نسق الانتماء:

عكف الروائي على إبراز ملامح الآخر اليهودي وعلاقته مع الأنا الجزائرية المسلمة في محاولة التّعايش والتّصالح فصوّر تلك العلاقة التي جمعت بين حاييم وأرسلان في إطار مهيب مدجج بالمثالية المطلقة، بحيث قدّم نموذجا بشريا عن يهودي مثقف ومتعايش داخل النسيج الاجتماعي الجزائري الذّي يعدّ ضمن التركيبة التاريخية والثقافية للمجتمع الجزائري والذّي يشكّل جزءا لا يتجزأ من تاريخه وحضارته، ويتفنّن في رسم علاقة الصداقة بين أرسلان المسلم الجزائري وحييم بن ميمون وهي شخصية تحمل كل معاني الإنسانية بعيدا عن سؤال الهوية واختلاف الوجهة العقائدية.

تنقل الرواية العديد من صور التعايش والعلاقات الايجابية التي جمعت بين حاييم و أرسلان والتي يسترجع ذكرياتها الأنا الجزائرية فيحكي عن المغامرات التي قضياها سويا حين يخاطب صورة حاييم قائلا "هل تذكر آخر عفرتاتنا؟ تلك التي ارتعبنا خلالها من صرخة ألفونسو باتيست فينا عالقين بشجرة أجاص في بستان مزرعته قرب ضفة الوادي الغربية بالضاحية الجنوبية"[36]،تلك المغامرات التي حفرة أجواف الذاكرة بين الأنا والآخر ، وتتواصل مغامرتهما ودراستهما في مدرسة جول فيري لينتقلا بعدها لإكمال تعليمهما في مدينة أخرى يقول الراوي"فرحت أعوض من رضوض الخيبة بما أستعيده من أعوام طفولتي مع حاييم وفي ما تلا تلك الطفولة منذ أن كنا بحلول الدخول المدرسبي المصادف لبداية الخريف ،انتقلنا الى ثانوية مدينة معسكر البعيدة، بحوالي ثمانين كيلومتر الى الشمال على طريق وهران فمدينة سعيدة بوابة الصحراء،كما تسمى، لم يكن متاحا فيها خلال تلك السنين تعليم إكمالي وثانوي"[37]، ويواصل أرسلان سرد تلك الذكريات التي جمعته ب"حييم "اليهودي وقرار والديهما في السماح لهما بالسفر للدراسة " يقول أرسلان في الصفحة 185 من الرواية "إذ أذكر أني ركبت بمفردي مثل بالغ الحافلة من محطة الدرب للمسافرين جنبا الى جنب مع حاييم راضيين عن أنّنا أفلحنا في عندنا؟ "فقرار السفر كان يمثل حلقة

التواصل بين الأنا والآخر ويؤكد فكرة المشاركة في التفكير وإصرار كلّ منهما على تحقيق الحلم المشترك الذّي سيتجلى فيما بعد في الكفاح لأجل الوطن ونيل الحرية .

ويواصل الروائي سرد كرونولوجيا الأحداث في وصفه لتلك العلاقة التي جمعت الأنا المسلم والآخر اليهودي ولكن تحت نسق يضمر في أجوافه التأكيد على مسألة الهوية والانتماء سواء عند المسلم الجزائري الذي تفان في الدفاع عن وطنه المُستعمر أو عند اليهودي الذي طالما أراد تحقيق حلمه في البحث عن وطن والتخلص من عقدة الانتماء التي عرفت عند اليهود، لذا فقط سخّر الحبيب السائح عوالمه التخييلية والتاريخية لخدمة النسق من خلال تركيزه على أهم مقومات الهوية كالدين واللغة والعادات والتقاليد ولتوضيح هذه المقومات حاولنا خوض غمار النص مستدعين المقاطع السردية التي تظهر هذا النسق

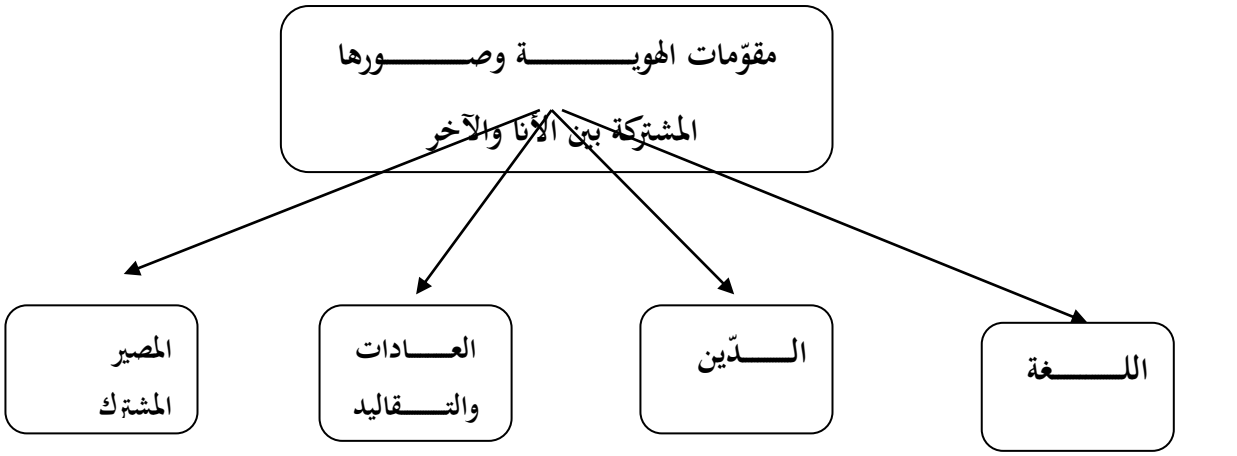

إتقان حاييم للغة العربية ورفض الفرنسيين للغة كمحاولة لطمس الهويات فقد أمر موسيو ويل فيالصفحة 34من الر واية حاييم بعدم التكلم باللغة العربية لاخضاع اليهود لقانون التجنيس (قانون كريميو 1870) وإعطائهم الجنسية الفرنسية وهذا ما أحدث القطيعة بين اليهود والجزائريين.يذكر الروائي على لسان حييم ":...قل لي ما طبيعة هذه العلاقة التي تربطك بمسلم غير فرنسي....فيجيب بأنّه ليس فرنسي وأن أرسلان أخي "(ص 34)

اندماج اليهود داخل المجتمع الجزائري جعلهم يتقنون اللغة

أظهرت الرواية اختلاف تعاليم الدين اليهودي في مواضع نذكر منها:

-**نسب الاطفال** بالنسبة للمسلمين يكون للأب في حين نسب الأطفال عند اليهود يكون للأم يقول الراوي في الصفحة 14 من الرواية:"...متخيلا وكان ذلك إحساسي كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية.

- يصور الحبيب السايح نزوع حايين الدين وممارسته لطقوسه يقول الراوي"وجدت حييم في سريره وبين يديه كتاب التوراة الذي غالبا ما يقرأ منه حين يكون في حالات من الحزن"ص123.

-**عملية الختان**: وهو ما سلط عليه الحبيب السايح الضوء وأنّ اليهود أيضا يقومون بعملية ختان الأطفال يقول في الصفحة 13 من الرواية"...حيث سبحنا مرة عاريين فتكشّف لنا ختاننا".

-**تغسيل الموتى ودفنهم**

:اطمئن أرسلان بأنّحاييم قد تلقى العناية من المستشفى بعد وفاته "مطمئنا على أنّ جسده سيعامل كما تقتضيه ديانته لأنّه كان مؤمنا"ص326.إذ يؤكد الرواي على تشابه عادات المسلمين واليهود عند الوفاة وكيف أنّ اليهود يقومون بتغسيل موتاهم وتكفينهم وكذا

نظرة الفرنسيين الى الأهالي أو كما كان المستعمر يلقبهم بالأنديجان حيث كان ينظر إليهم بنظرة إستعلائية وروح العنصرية حتى اليهود الذين كانت تربطهم علاقة مع الجزائريين لم يسلموا من عنصرية الفرنسيين وهمجية المستعمر (الرواية ص24).

-التميز العنصري الذّي طال الجزائرين

-الرغبة في حمل السلاح والدفاع عن الوطن: تيقّن حييم أنّ الحرية لا تسترد إلاّ بالسلاح والحرب لذلك يخاطب صديقه أرسلان قائلا :"كل يوم أزداد شعورا بأن مكاني يجب أن يكون الى جانبك أحمل السلاح

إنّ هذا العرض الموجز لتلك المقومات التي تنبني عليها هوية الفرد إنّما مرده إثبات رغبة الآخر في تحقيق الانتماء للوطن منذ ركحا من الزمن، وفي حديث الحبيب السائح في الرواية عن يهود الجزائر يشير إلى تعدد الطوائف اليهودية و التسميات التي تطلق على كل جماعة ،فيأتي على لسان شخصية كولدا داخل الرواية حينما تخاطب حييم بقولها "ابق مع هؤلاء الناس الذّين اخترتهم وهم فئة من اليهود الذّين انصهروا في المجتمع الجزائري "فصار هؤلاء اليهود يعرفون بالتوشاييم * ومعناها بالعبرية "الأهالي"وهو الذّين كان وجودهم بالجزائر قديما ،ورغم هذا الانصهار الاجتماعي الذّي وقع بينهم وبين غيرهم من الجزائريين فإنّ اختلاف التعاليم الدينية والطبائع النفسية المكتسبة منها جعلهم يحافظون على المعالم الكبرى للشخصية اليهودية "[38]ويؤكد الحبيب السائح على

انتشار يهود الجزائر عبر التراب الوطني خاصة في الجنوب والغرب يقول في الصفحة 37 من الرواية"فقد ذهب حييم جنوبا إلى مدينة جريقيل مع أمه في الحافلة لزيارة أقارب لها" وهذه المدينة متواجدة في البيض حاليا ، لكن معظم أحداث الرواية تدور في مدينة سعيدة التي كانت محطة استقرار لهم فاندمجوا فيها ودليل هذا ذاك التصوير الذي قدّمه الحبيب السائح في أحد مقاطع الرواية حين وصف هيآتهم التي تشبه إلى حد بعيد الأهالي المسلمين فمنهم" يهود من طائفة التوشاقيم ،نساء ورجالا ،يميزهم من الأقدام السوداء والأوروبيين لباسهم التقليدي يكاد لا يختلف عن لباس المسلمين في الأحذية والسراويل والعمائم والطرابيش الحمراء ،عكس الاشكنازيم الذّين يلبسون الأسود غالبا ويطلقون سوالفهم ويضعون الكيبا على رؤوسهم قبل أن يختفوا تدريجيا"، وبالرغم من وجود بعض اليهود الذين كانوا يلبسون هذا الزي إلاّ أن هناك بعضهم يلبسون بصورة عادية كالمسلمين دون أية مشكلة [39]وذلك إبان الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي حررهم من هذا القيد الذي فرض عليهم من أهل الذّمة .

إلاّ أنّ المسترعي في عوالم الرواية وفيما هو ثاوي في أجوافها يستشف تلاشي فكرة الانتماء وتهشيم نسق الانتماء وخيبة تحقيق حلم الوطن ولعل هذا ما تجسد داخل الرواية في الصور التالية :

أ--تخلي حبيبة حييم "كولادارافييل " عنه والسفر الى الوطن الموعود ، إذ مثّلت هذه الشخصية شخصية المرأة اليهودية العنصرية التي كانت تحتقر الأهالي وامتازت مواقفها بالعنصرية والاستعلاء والسخرية من تطلعاته في العيش بسلام وبدون اختلاف وبلا حروب وهذا ما أثار قلق واستياء حييم وصرّح به في مذكراته" أه ليتك تدرين كم كان يوجعني أن تنطقي كلمة أنديجان باستعلاء واحتقار بل بعنصرية أني لا أخجل بأن أصارحك بهذا"[40]،. وما يزيد من حقدها على الأنديجان بعد مقتل والدها ولعل هذا يعكس الصورة الحقيقة لليهود التي حاول الحبيب السائح تقويضها .

فحقد كولدا بات متأججا يصعب إخماده، إذ يصور الكاتب سلوكاتها المعبرة عن سوداوية الفكر العقيم المسيطر عليها من خلال تحليلها لواقع الحرب التي تنعتها بحرب العصابات ويظهر هذا جليا في الحوار الذّي دار بينها وبين حاييم "…..فرددت أنّها ليست حربا بل هو تمرد تخوضه عصابات الأنديجان من القتلة والمجرمين"[41]، ولعل غضبها الشديد من المجاهدين ووصفها لهم بالقتلة أبان عن نفسيتها وعدم تقبلها للأنا وحتى للآخر الداعم للأنا يقول حييم" وكم شعرت بألم الذّبحة إذ سألتني إن كان بقي في نفسي شيء من كرامة اليهودي وحبه لأرض الميعاد يساعدني على لملمة شملي الممزق استعدادا للرحيل عن هذه الأرض اللّعينة "[42]

ولا يخف على أحد في المخيال الجمعي صورة اليهودي الخبيث المتشبع بهرمون الكراهية والحقد والانتقام من عقدة اللاإنتماء ،إذ حاولت كولدا تغيير نظرة حييم بضرورة العودة إلى الأرض التي وعدوا بها في التوراة ولكنّها لم تفلح في ذلك وهذا ما يشير إليه مالك بن نبي بقوله" ولفهم نفسية يهودي في الشتات ، هناك شيء أساسي هو أنّ اليهودي لا يترك وطنه نهائيا دون أمل في العودة إليه ،فالوطن هو الأرض الموعودة لأجداده وأحفادهم وهو يتمثله عودة نهائية إليه في فكره وأحلامه لأنّه القطب الذّي يشدّه الى قدره"[43]ولعل هذا ما يطغى على فكر معظم اليهود والذّين مثّلهم الحبيب السائح في شخصية كولدا.

لقد اختار حاييم أرض الوطن بدلا من حبيبته التي كانت في كل مرة تلح عليه بالسفر والانفصال عمن تسميهم بالحثالة تقول:"كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه ودينه وحياته لهؤلاء الحثالات وفوق ذلك أن يتواطأ مع قتلهم من الفلاكة"[44]،. فقد حاول حييم الصمود أمام الإغراءات المقدمة له للابتعاد عن الجزائر بل زاد تمسكا بوطنه فبعد أن زاد الاحتدام بين الأقدام السوداء و الأوروبيين مع الأهالي بدأ اليهود في الهجرة من الجزائر إلى فلسطين وهو ما شغل حاييم وبدا واضحا عليه من خلال حديثه مع أرسلان الذّي

يقول في الرواية" باح لي أنّه جاءه قبل أسبوع برفقة كولدا من حاول بأن يقنعه أن يغادر مثل المغادرين "[45] لكنّه رفض رفضا مطلقا قائلا" قلت له الى أين تريدونني أن أغادر هذا وطني هنا ولدت وولد آبائي وأخلاط جسدي من تربة هذه الأرض وفيها أدفن مثل آبائي ، فلسطين ليست أرضي ولا وطني"[46]، حاول الحبيب السائح أن يكشف ملامح يهود الجزائر المتمسكين بجزائريتهم ومعتزين بالتربة التي استقبلتهم في تاريخ مضى :فقد أثبت التاريخ أن الإسلام في الجزائر" قد كفل لهم حرية تنظيمك علاقاتهم الداخلية تحت رئاسة زعماء الطائفة في إطار حقوق أهل الذّمة،ة حيث تمكنوا من مزاولة شعائرهم وتعليمهم ونشاطاته الاقتصادية بحرية تامة"[47].

ب- شخصية الاب وعقدة الانتماء ورضوخه وقبوله قانون التجنيس الفرنسي:تعرّض الروائي إلى قضية تجنيس اليهود من قبل المستعمر الفرنسي وكيف انعكس تأثيرها على اليهود وخاصة حييم الذّي كان يشعر بالخزي مما كون قبول والده بما يمكن تسميته"مقايضة العيش بسلام"[48]فلا هو سلم من نظرة الأهالي ولا هو أخذ بجل الامتيازات التي وعد بها يقول في مذكراته"....لحظتها ازددت شعورا بالوزر لتجنّس والدي واعتباري تبعا لذلك فرنسيا"[49]، وتثبت تفاصيل الرواية أنّ حييم لم يحس بانتمائه للفرنسيين أبدا لا سلوكا ولا روحا فما استطاع أن يقوم به هو معاتبته لوالده الذّي قبل الانكسار والشتات فيقول مدافعا عن نفسه"أنّه فعل ذلك لانّ العثمانيين هنا كانوا يهينون أجدادنا باعتبارهم ذميين لهم عليهم حق الحياة نفسه وكانوا يفرضون عليهم الجزية ويلزمونهم بلبس أثواب ذات ألوان صفراء*، ثم لخص يكفينا مع النصارى أن نحافظ على ديننا ولغتنا"[50]،

ولعلّنا في هذا السياق نشير إلى عقدة والد حاييم من الاضطهاد الذّي مرّ به أجداده اليهود في العهد العثماني جعلته يرى الخلاص في كسب ودّ الفرنسيين بغية حصد الامتيازات التي وعدوا بها، وبالمقارنة مع هاته الفئة هناك العديد من يهود الجزائر عاشوا واختلطوا مع الأهالي المسلمين حتى لا يمكن التفريق بينهم لولا عقيدتهم ،إلاّ أنّ الفئة المهللة للمستعمر الفرنسي هي من غلبت على المناخ الاجتماعي العام وذلك خدمة لمصالحهم،فالطبيعة الإنسانية لليهود أحدث شرخا في سيرورة العلاقات الاجتماعية الإنسانية بين الأنا والآخر اليهودي الجزائري .

ج-رفض الأهالي لحييم بعد الاستقلال والانتقام منه : على الرغم من تمتّع حييم بجميع حقوقه المدنية على التراب الجزائري كحق الاستفتاء من أجل الحرية وعودة صديقه بعد انتهاء الحرب ،فقد صور لنا الحبيب السائح هذه اللحظة تصويرا عاطفا ينمّ عن أظبهر صور التلاقي والتآلف والتّقبل بين الأنا والآخر يقول الراوي على لسان أرسلان".... فإذا هو لا يتمالك ألا يشهق وقد توهج وجهه بلون الزهر لرؤيته إياي واقفا...ونظر كل منّا الى وجه أخيه عينا لعين وهزّ أحدنا الآخر من من كتفيه بما وسعت

الغبطة"[51]،وهذا ما يعكس صورة حقيقية عن المشاركة فحييم كان ينتظر بشوق يوم الاستقلال بقلب جزائري وبشغف المحبّ للأرض لأنه يعي معنى الانتماء.والتعايش،إلاّ أنّ أمل حييم في العيش بهناء في وطنه الذّي يؤمن به سرعان من اندثر حين قرر الأهالي الانتقام من الأوروبيين والأقدام السوداء وحتى اليهود، وحاييم الذّي كان أولهم إذ جاء أحد الصبية إلى زليخة يخبرها "أنّه سمع من سمّته الزعيم يطلب ممن معه أن يبدؤوا بدار الصيدلي في الدرب"[52]،وتتدخل زليخة وأرسلان لإنقاذ حييم في آخر دقيقة ويعترف الأنا أمام الملأ بتضحيات الآخر ويقول بأعلى صوته للمتهجمين أمام بيته" السيد حييم بن ميمون هذا الذّي جاء هؤلاء الأشقياء ليعتدوا عليه ويسطوا على بيته أصبح جزائريا مثلكم مثلي مثل هذه المرأة أمامكم ...هل فيكم واحد مثل السيد حييم خاطر بحياته ورزقه من أجل أن يصبح الحلم بالحرية حقيقة كما ترونها اليوم"[53]، فحييم لم يخرج عن دينه لإرضاء رغباته رغم أنّ العديد من الأهالي راهنوا على عدم قدرته على الصمود ورحيله بعد انتهاء الحرب مباشرة لكن الحبل الذي يربطه بمدينته كان أقوى من أية تكهنات فكيف له أن يتنكر لمدينة أنجبته وأرضعته حبّ الوطن وزرعت في نفسه الروح القومية،وفي السياق ذاته نجده تعرّض للاضطهاد من المستعمر بحيث حرقت صيدليته مرتين .

خاتمـــــــــــــة:

بعدما صلنا وجلّنا في هذا المتن الروائي المتميّز تشكّلت لدينا قناعات تلخصت في أنّ الحبيب السائح استطاع دخول عشّ الدّبور بما تطرق إليه بالحديث عن يهود الجزائر وخاصة حاييم اليهودي محدّدا نقاطا مهمة تتلخص في تمثيل الذّات وتقويض مركزية الآخر من خلال:

- مساءلة التاريخ قبل الاستقلال وبعده.
- –علاقة الأنا بالآخر المختلف.
- التعايش بين أطياف المجتمع الواحد

–حاول الحبيب السائح أن يعيد سرد التاريخ بأساليب فنية ورؤى متجددة منبعثة من التاريخ الجزائري والوجود اليهودي الذّي يعدّ جزءا لا يتجزأ من تركيبته ،إذ تمكّن السائح من فتح أبواب الذّاكرة المنسية متخذا من مدينة سعيدة بؤرة لانطلاق الأحداث عبر متخيّل تاريخي شكّل عملا فنيا تاريخيا يحكي في تفاصيله الوجود اليهودي داخل المجتمع الجزائري .

–حاول الحبيب السائح تجسيد مفهوم عميق للثورة الجزائرية عبر الصّداقة التي جمعت بين المسلم واليهودي ،إذ فسح المجال أمام المتلقي ليعيد قراءة حيثياتها كحدث إنساني تجاوز إلغاء الهويات بل ليظهر بأنّ الوطن يجمع بين كل أطيافه فهدف الثورة كما صوّره الحبيب السائح ليس فقط محاربة الاستعمار بل هو أيضا الخروج عن ذلك الانغلاق والتّخلف الثقافي في المجتمع

قائمة المصادروالمراجع:

- السائح الحبيب ،(2018)رواية "أنا وحييم: ط01،دار ميم للنشر، الجزائر، وميسكيلياني، تونس،.
1- يوسف، أحمد ، (2006)، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة، الجزائر ،ط1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف .
2- مختار، أحمد (1997) االلغة واللون، لقاهرة ، ط2-،.عالم الكتب.
3-بول ريكور،(.2002) محاضرات في الايديولوجيا تواليوتوبيا ، تر: فلاح رميم، ، بيروت ط1 الكتاب الجديد المتحدة .
4- نجمي حسن،(2000) شعرية الفضاء السردي، بيروت المركز الثقافي العربي، ط01، دار البيضاء..
5- كاصد سلمان ،(2002) الموضوع والسرد، مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي،
6 -العجيلي شهلا(2011) الخصوصية الثقافية في الرواية العربية، ط1،. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية ،
7- الغذامي عبد الله، محمد اصطيف وعبد النبي(2004)، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ دمشق دار الفكر ، .
8- الغذامي عبد الله(2005)،النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3 المغرب،، المركز الثقافي العربي ،، الدار البيضاء ،
9- المسيري عبد الوهاب،(2008) اليهود وما هي اليهودية –أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية ، القاهرة، مصر ط04،دار الشروق
10- الخطيب عبد الله، (2008) النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، عمان..
11_ عبيد كلود، ا(2013) لألوان دورها تصنيفها، مصادرها،مزيتها، دلالاتها،مراجعة محمد حمود المؤسسة لدراسات النشر والتوزيع ط01. لبنان
12- بن صحراوي كمال (2016.)دور يهود الجزائر الدبلوماسي (أواخر العهد العثمانيون بداية الفترة الاستعمارية، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، ط2،الجزائر

13_ مرسلي محمد عبد العبود ، علم الاجتماع بين نظريتي الفعل والنسق _دراسة تحليلية نقدية ،مكتبة القليعي الحديثة السعودية ، ص91.
14–محمد القاضي ،الرواية والتاريخ (دراسات في تخييل المرجعي)ط–دار المعرفة للنشر والتوزيع ،ص65.
15– الذّاهي محمد (2013)، صورة الأنا والآخر في السّرد،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط01، ،ص11.
16– التلاوي محمد نجيب ، الذّات والمهماز، دراسة التقاطب في المواجهة الحضارية،ص15.
17– بن نبي مالك ،(2013)،وجهة العالم الإسلامي،المسألة اليهودية، ط01دار الوعي للنشر والتوزيع رويبة، ج 02– الجزائر –.
18– خيري الرمادي أبو المعامطي(ديسمبر 2014)،عتبة النص ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة"تحت سماء كوبنهاجن أنموذجا"كلية الآداب، جامعة الملك ديسمبر سعود ، مجلة مقاليذ العدد 7، ،ص293..
19–_ كاظم نادر (2016)، الهوية والسرد _دراسات في النظرية والنقد الثقافي ،ط2،دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت .
20 النجدي إيهاب (2008).،صورة الغرب في الشعر العربي الحديث،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري،الكويت

المقالات والرسائل الجامعية :

خلباص 1إسماعيل حمادي ، ناصر إحسان(2013.)، النقد الثقافي مفهومه ، منهجه ،إجراءاته، مجلة كلية التربية ،جامعة واسط العراق العدد 13.
2–حسين بوحسون 2017)، جدل الأنساق الثقافية المضمرة في روايات اعترافات امرأة للكاتبة عائشة بنور، مجلة المقال العدد5.
3– فضيل سهام صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة –دراسات في الأدب المقارن– تخصص أدب مقارن وعالمي رسالة دكتوراه ،إشراف الدكتورة :متلف آسية، جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف– 2020–2021–.
4_عبد الفتاح نافع، جمالية اللون في شعر ابن المعتز ، مجلة التواصل العدد 4 جوان1999،ص125.
5– عبد السلام بلعجال، 2013، انزياح النسق الثقافي في شعر أبي تمام من العمود الى البديع ،مجلة مقاليد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر العدد 4جوان ص170.

شبكة الأنترنيت

1–أمينة بلعلى،زحام الأنساق في رواية أنا وحييم للحبيب السايح ، مجلة كلمات للإبداع والفكر،
http://kalimates.com– تاريخ المشاهدة :
05–05–2021 الساعة 11:20
2– جميل حمداوي، الدلالات الخطاب الغلافي في الرواية،مجلة أدب فن، 25 سبتمبر 2007، www.adabfan.com
3–سلمى قويدر، ويلياس سبورتيس جزائري يهودي مناهض للإستعمار والصهيونية والاستبداد،كتبت في 18 ديسمبر 2019https://ultraalgeria.ultrasawt.com
4––فريدة ابراهيم، تمثّلات الهوية في رواية "أنا وحييم" للجزائري حبيب السائح ، العربي الجديد
https://www.alaraby.co.uk/ تاريخ المشاهدة 05–06–2021.

5- لونيس بن علي، أنا وحييم للحبيب السائح، رواية عن الجزائر المتعددة 2019/10/16 موقع الجزائر، تاريخ المشاهدة 2021/05/25 الساعة 11:00صباحا https://ultraalgeria.ultrasawt.com

[1] متلف آسية (أستاذة محاضرة أ)

[2] _نادر كاظم، الهوية والسرد _دراسات في النظرية والنقد الثقافي ،ط2،دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت 2016،ص11

[3] _ محمد مفتاح ،التشابه و الاختلاف، المركز الثقافي العربي ،بيروت 1996، ص156_157.

[4] _أحمد يوسف ، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة، ط1، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف الجزائر ، 2006 ، ص 116

[5] _المرجع نفسه ص120.

[6] _محمد عبد العبود مرسلي ، علم الاجتماع بين نظريتي الفعل والنسق _دراسة تحليلية نقدية ،مكتبة القليعي الحديثة السعودية ، ص91.

[7] _عبد الله محمد الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ دار الفكر ،دمشق ،2004،ص 30

[8] _ المرجع نفسه، ص 30.

[9] _ ينظر حسين بوحسون ، جدل الأنساق الثقافية المضمرة في روايات اعترافات امرأة للكاتبة عائشة بنور، مجلة المقال العدد5، 2017،_ص12

[10] _ ينظر:عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3 ، المركز الثقافي العربي ،2005، الدار البيضاء ،المغرب،ص 81.

[11] _ عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي ص81.

[12] _ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، ص78.

[13] _إسماعيل خلباص حمادي ،إحسان ناصر ، النقد الثقافي مفهومه ، منهجه ،إجراءاته، مجلة كلية التربية ،جامعة واسط العراق ، العدد 13، 2013،ص17.

[14] _محمد عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف ،نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ ط1_ دار الفكر، دمشق ،سوريا ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، ص33.

[15] _ محمد عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف ،نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ ص31_32.

[16] _ينظر: عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي، ص80_82_83.

[17] _ عبد السلام بلعجال ، انزياح النسق الثقافي في شعر أبي تمام من العمود الى البديع ،مجلة مقاليد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر العدد 4جوان 2013 ص170.

[18] – النجدي إيهاب ،صورة الغرب في الشعر العربي الحديث،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البايطين للابداع الشعري،الكويت 2008،ص10.

[19] – همت بسيوني عبد العزيز،الشخصية المصرية وصورة الآخر، مصر العربية للنشر والتوزيع ط01–2013 ص76.

[20]–محمد الدّاهي، صورة الأنا والآخر في السّرد،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط01، 2013،ص11.

[21] –محمد نجيب التلاوي، الذّات والمهماز، دراسة التقاطب في المواجهة الحضارية،ص15.

[22] – فريدة ابراهيم، تمثّلات الهوية في رواية "أنا وحييم" للجزائري حبيب السائح ، العربي الجديد https://www.alaraby.co.uk/ تاريخ المشاهدة 05–06–2021.

[23] *أمنة بلعلى زحام الأنساق في رواية أنا وحييم للحبيب السايح ، مجلة كلمات للإبداع والفكر، http://kalimates.com–

[24] عبد الله الخطيب، النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، عمان 2008–ص19.

[25] جميل حمداوي، الدلالات الخطاب الغلافي في الرواية،مجلة أدب فن، 25 سبتمبر 2007، www.adabfan.com

[26] حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ، ط01بيروت ،2000، ص22.

[27] المرجع السابق ص22.

[28] _ أبو المعاملي خيري الرمادي،عتبة النص ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة"تحت سماء كوبنهاجن أنموذجا"كلية الآداب، جامعة الملك ديسمبر سعود ، مجلة مقاليذ العدد 7،ديسمبر 2014،ص293.

[29] _عبد الفتاح نافع، جمالية اللون في شعر ابن المعتز ، مجلة التواصل العدد 4 جوان1999،ص125.

[30] سلمان كاصد، الموضوع والسرد، مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي، 2002، ص181.

[31] المرجع نفسه ، ص181.

[32] –أحمد مختار، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط2–1997،ص212،211

[33] _ كلود عبيد، الألوان دورها تصنيفها، مصادرها،مزيتها، دلالاتها، مراجعة محمد حمود المؤسسة لدراسات النشر والتوزيع لبنان ط01، 2013،ص73–74.

[34] عبد الملك أشهبون، عتبات الكتابة، مرجع سابق، ص201.

[35] سلمى قويدر، ويلياس سبورتيس جزائري يهودي مناهض للاستعمار والصهيونية والاستبداد،كتبت في 18 ديسمبر 2019 / https://ultraalgeria.ultrasawt.com

[36]– الحبيب السايح ، أنا وحييم ص13

[37] – الحبيب السايح ،أنا وحييم،ص19.

[38] ––كمال بن صحراوي، دور يهود الجزائر الدبلوماسي (أواخر العهد العثمانيون بداية الفترة الاستعمارية، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، ط2،الجزائر 2016،ص 24.

[39] –ينظر:عبد الوهاب المسيري اليهود وما هي اليهودية –أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية ،دار الشروق القاهرة ط04، مصر 2008 ص90–91.

[40] – الرواية ص202.

[41] – الرواية ص204.

[42] – الرواية ص205

[43] –مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي،المسألة اليهودية، دار الوعي للنشر والتوزيع رويبة، ج 02–الجزائر ط01–2013ص55.

[44] –الرواية ص258.

[45]– الرواية ص162

[46] – الرواية ص162.

[47] – كمال بن صحراوي دور يهود الجزائر الدبلوماسي،مرجع سابق ،ص187.

[48] –فضيل سهام صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة –دراسات في الأدب المقارن– تخصص أدب مقارن وعالمي رسالة دكتوراه ،إشراف الدكتورة :متلف آسية، جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف– 2020–2021– ص290

[49] – الرواية ص206

[50] –الرواية ص206–

* يشير فوزي سعد الله في كتابه يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ص48 ،اذ قيّدت الدولة العثمانية اليهود وألزمتهم بلبس الغيار وهو عبارة عن قطعة قماش صفراء ،وكذا شد الزّنار وهو عبارة عن حزام بالنسبة لليهود.

[51] الحبيب السائح ، أنا وحييم،ص 215.

[52] – الحبيب السائح ،أنا وحييم، ص221.

[53] –الحبيب السائح ،أنا وحييم ص225.